**المحاضره الثامنة : المنهج السلوكي:**

نشأ النموذج السلوكي كردِّ فِعْل للدراسات التقليدية غير المقارنة، والتي كانت تتَّسِم بالوصفية، وضيق الأفق، والتي ركَّزت على دراسة الجوانب الرسميَّة والقانونية للحكومات، وتَضمَّن النموذج السلوكي أيضًا نقدًا للتفكير السياسي التقليدي الذي ركَّز على وجود علاقة متبادَلة بين الحقائق والقيم، ولقد كان للتقدم التكنولوجي ولظهور الأبحاث العملية بعد الحرب العالمية الثانية أثرٌ على تطوُّر الاتجاه السلوكي في حقل السياسية، فلقد تأثَّرت العلوم السياسية بطرق البحث العلمي الجديدة من مسْحٍ وجمعٍ للبيانات، واستخدام للإحصاء والرياضيات والكمبيوتر، وصاحَبَ ذلك أيضًا زيادة في التركيز على الفلسفة الوضعيَّة التي تؤكِّد على ضرورة فصْل القيم عن العلم.

ويمكن تعريف السلوكية بأنها البحث المُنظَّم عن تعميمات أو قوانين عامة عن طريق صياغة النظريات التجريبية والتحليل التِّقَني وإثباتها من أجل تحقيق ذلك الفرض، وترتكِز السلوكية على قاعدتين، تدور الأولى منهما حول صياغةِ المفاهيم والفرضيات وشرْحها بطريقة منظَّمة، بينما تركِّز الثانية على طُرُق البحث التجريبية، ويُضيف الدكتور ملحم قربان بأن السلوكية:

"توجِّه اهتمامَها نحو دراسة السلوك السياسي دراسة علمية، وتستخدم المفاهيم السيكولوجية والذرائع الاختصاصية كوسائل تحليل، من أُوْلى صفاتها: الاعتقاد بأن وَحدة التحليل الاختباري أو التنظيري هي سلوك الأشخاص أو سلوك الجماعات، .

 ويؤكِّد روبرت دال بأن الاتجاه السلوكي يُمثِّل احتجاجًا داخل حقل العلوم السياسية، نبَع من عدم الرضا بما قدَّمته المدرسة التقليدية بمناهجها التاريخية والفلسفية والوصفية من ناحية، ومن الرغبة في إيجاد منهج للبحث يركِّز على التجريب، ويسعى لبناء نظريات علميَّة تربِط حقل السياسة بحقول المعرفة الأخرى من عِلم نفس وعلم اجتماع واقتصاد وغيرها.

 ولقد قام ديفيد إيستون أحد رواد المدرسة السلوكية بتحديد ثماني خصائص للسلوكية تتلخَّص في الآتي:

1- الانتظام Regularities: يؤمن أرباب المدرسة السلوكيَّة بأن هناك تَشابُهات ملحوظة في السلوك السياسي يُمكِن التوصل إليها بالتعميم أو التنظير القادر على التفسير والتنبؤ.

2- الإثبات Verification: ترى السلوكية أنه لا بد من اختبار صحة الفرضيات بمراجعة علاقتها بالسلوك؛ أي: بإخضاعها للاختبار التجريبي والملاحظة.

3- التقنية Technique s: تؤكِّد السلوكية بأنه لا يمكن التسليم بصحة طُرُق جمْع البيانات بصورة مطلَقة، فلا بد من فحْصها وتحسينها وإثبات نفْعها حتى يمكن التوصل إلى أمثل الوسائل لتسجيل وتحليل السلوك، وتَعتمِد المدرسة السلوكيَّة على طُرُق التحليل المعقَّدة، مثل: النماذج الرياضية، والمحاكاة، والمسح بالعينات وغيرها، ويعتقد السلوكيون بأن الاعتماد على التَّقنية سيُمكِّن الباحث من التجرد من القيم المؤثرة على طريقة التحليل.

4- القياس الكَمي Quantification: تتطلَّب دقة المعلومات الاعتماد على القياس الكَمي، وعليه فالطرق الرياضية في التحليل ستمكِّن الباحثَ من التوصل إلى معلومات دقيقة ومحدَّدة عن الحياة السياسية، بعكس ما لو استخدم الباحث الطرقَ النوعية غير الدقيقة في التحليل السياسي.

 5- القيم Values: لا بد من فصْل التقويم الأخلاقي عن التفسير التجريبي، ولكن هذا لا يعني أن دارِس السلوك السياسي لا يتمكَّن من دراسة المعايير الأخلاقية طالما أن باستطاعته فصْل القيم عن الحقائق.

 6- التنظيم المنهجي Systematization: لا بد من تنظيم التحليل لإدراك التداخل بين النظرية والبحث؛ فأرباب المدرسة السلوكية يؤكِّدون بأن العلم لا بد أن يركِّز على التنظير؛ فالبحث العلمي المنظَّم يهدف فقط إلى إيجاد نظريَّات علميَّة.

 7- العلم الصِّرف Pure Science: يُعَد استخدام المعرفة جزءًا من العلم تمامًا كالمعرفة النظرية، ولكن معرفة وتفسير السلوك السياسي بالطرق العلمية لا بد أن يأتِيَا أولاً، ولا بد أن توضَع القواعد العلمية للانتفاع من المعرفة السياسية في حلِّ المشاكل الاجتماعية.

 8- التكامل Integration: نظرًا لتداخل المفاهيم السياسية المعاصرة، ونظرًا لأن علم السياسة يُعالِج السلوكَ السياسيَّ للإنسان، فإن عُزِل هذا الحقل عن العلوم الأخرى يُعَد مؤشرًا خطيرًا يوحي بتدهور المعرفة العلمية ككل، وعليه فإن تَسابُق العلوم الاجتماعية لتأكيد ذاتها واستقلالها قد يؤدى في النهاية إلى تقويض دعائم العلم نفسه؛.

 كان المنهج السلوكي يسيطر إلى حدٍّ ما على حقل السياسة الأمريكي؛ وذلك لأن الفضل يَرجِع له في تحويل اهتمام الباحثين عن التحليل التقليدي عن ضِيق الأفق والمنهج الوصفي، مما ساعَد على تعزيز الدقة العلمية وعلى زيادة تراكُم المعرفة.